

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم الانسانية -
كلية التربية للعلوم الانسانية -
قسم اللغة السريانية -
المرحلة الاولى -

تاريخ اللغة السريانية -
أ.د. اطلال سالم حنا -

2025

- بدايات استخدام اللغة الآرامية

يعتقد العلماء أن الآراميين ظهروا في القرن الخامس عشر ق.م قادمين من موطنهم الأصلي (المجهول) ومنتشرين في ربوع ما بين النهرين وسورية . وكانوا في بادئ أمرهم قبائل رحلاً متنقلين لا سيما في مناطق جنوبي العراق بالقرب من الخليج العربي ، وذلك استناداً الى رقم مسمارية يرتقي عهدا إلى هذا التاريخ ثم يندفعون الى داخل البلاد ويصيرون خطراً على الدول البابلية والاشورية التي لم تستطع اخراجهم من البلاد في مدة قليلة ، ثبتوا أقدامهم فيها واستولوا على جميع المرافق الهامة . نستدل من هذا أن اللغة الآرامية القادمة مع أصحابها هؤلاء الى العراق اتصلت باللغة الاكدية بواسطة تسربهم بين الأمم البابلية والاشورية ، وأخذت عنها غير قليل ، ولغتهم أكثر منها نقاء وقرباً الى الاصول السامية القديمة

، لأن لغة بابل الاكدية فقدت كثيراً من عناصرها الاصلية لامتزاج ذويها بالعنصر السومري هنا تظهر حقيقتين ، الأولى تفاعل الآرامية مع لغة بابل ونيوى الاكدية ، والثانية تغلبها على الاكدية بسبب نشاط التجار الاراميين الذين امتازوا بالتجارة في جميع البلاد الشرقية منذ أقدم العصور، وحملوا لغتهم اليها وبها كانت قوائم حساباتهم وأسنادها مكتوبة ، وهو يسر لها الانتشار في سائر أنحاء آسيا الغربية ، حتى جاوزت الفرات الى بلاد فارس وآسيا الشرقية ، فبلغت الهند وأمست حروفها بعد زمان حروف هجاء الجميع الأمم الشرقية وأما انتشارها في بلاد نيوى . فكان راسخاً وواسعاً ، حتى عمت بلاد آشور وجميع ضفاف الدجلة ، والدولة الاشورية في عصرها الذهبي ، فأصبح عدد المتكلمين بها في بلاد آشور يربي على المتكلمين بالاشورية نفسها ، وكلما وصل الى يد تاجر آرامي اجرة مكتوبة بغير الآرامية علق عليها بلغته ، ومن هذه القطع وجد في اثار نيوى القديمة . هذا في الأمور العامة وأما في الشؤون الحكومية ففي الغالب كان الكاتب آرامياً وكان طبعاً بالآرامية يدون المحاضر بقلم الحبر على ملف البردي(غريغوريوس بولس بهنام ، تحقيقات تاريخية لغوية)

ان اجتياح " الاراميين " لبلاد الرافدين و تدميرهم وابادة اشوريها بالتنسيق مع الميديين بات العراق ايضا " اراميا سريانيا سياسيا و عرقيا و ثقافيا " و العراقيون ~ منذ تكوين العراق ~ تكلموا 4 لغات و هي " السومرية و الأكدية و الآرامية | السريانية ثم العربية " و قد ماتت الاولى و الثانية ~ السومرية و الأكدية ~ و ظلت " الآرامية السريانية " و العربية {لغة حديثة} لحد الان و يذكر عالم الاشوريات الفرنسي جان بوتيرو : ان اجتياح " الاراميين " لبلاد الرافدين ادئ الى تغييرات سياسية و عرقية كذلك و بالنتيجة الثقافية ايضا حيث ان لغتهم " الآرامية " اصبحت لغة سكان بلاد الرافدين كلها و ماتت " اللغة الأكدية " شأنها شأن " السومرية " قبلها كما اورد هذا في صفحة 250 من كتابه " بلاد الرافدين " :

" و هناك علامة بليغة على التغييرات الخطيرة ليس السياسية حسب بل العرقية كذلك و بالنتيجة الثقافية ايضا و ستعود حضارة " بلاد الرافدين " الجلييلة الى حتفها وهي ان " اللغة الأكديّة منذ منتصف الالف الاول تقريبا " شاءن اللغة السومرية " فقدت مهمتها كلغة متداولة و " استبدلت " بلغة سامية اخرى جاء بها بعض الغزاة الحديثي العهد " اللغة الارامية. " فاءصبحت الأكديّة غير مستعملة من بعد في " كتابتها المسمارية " و " استبدلت " في كل مكان بالأبجدية : L`Alphabet : الا في حلقات ازدادت انغلاقا على ذاتها و تقلصا على فئة من المثقفين و الكهنة و العلماء. و اخر " وثيقة مكتوبة وصلتنا باللغة الأكديّة و الكتابة المسمارية " ترقى الى سنة 74 من تاريخنا الميلادي و هي وثيقة تتناول علم الفلك (بشير الطورلي)

كان أول ذكر للاراميين في نصوص أسفينية ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهم يذكرون فيها على أنهم منتشرون في الصحراء الواقعة غربي ما بين النهرين ، وأنهم كانوا في أول أمرهم قبائل رحلا ينتقلون في البادية - كالعبريين وبقية الأمم السامية - بين نجد في الجنوب ، وحدود الشام في الشمال ، ونهر الفرات في الشرق، وخليج العقبة في الغرب ، وأن ظروف الصحراء كانت تضطربهم إلى الالتجاء إلى الحضر في بعض الأحيان فيدخلونه مُغيرين ، وقد استطاعوا في إحدى إغاراتهم أن يكونوا إمارة بين بابل والخليج العربي عرفت باسم كلد ، ومنها اشتق اسم الكلدانيين . وبعد سقوط دولة الميتتين حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م دخل الآراميون ما بين النهرين ، وعرفوا باسم آرام النهرين ، وكان تغلغلهم في هذه الارحاء قد سبق سقوط دولة الميتانيين . وترجع هجرة قبيلة ابراهيم الخليل - من أور في بلاد الكلدانيين إلى حران - إلى واحدة من هذه الهجرات .

-دوافع استخدام اللغة الآرامية-

تبنى الآراميون أيضاً الألفباء الكنعانية - الفينيقية، بالتأكيد ليس بعد النصف الأول من القرن التاسع ق.م مادام قد تم العثور على نقوش آرامية متعددة في سوريا ووادي الأردن. ومع حضور الآراميين في المنطقة بأسرها من سوريا حتى إقليم بابل، وانخراط بعضهم في التجارة العالمية، صارت اللغة الآرامية مناسبة على وجه خاص للوثائق التجارية والمراسلات الدولية(مراد كامل واخرون، تاريخ الادب السرياني، ص ص 10-26)

كانت لغتهم تتمتع بميزة إضافية وهي ان النظام الكتابي الآرامي يمكن السيطرة عليه في غضون شهور، بدلا من السنين التي يحتاج اليها نظام الكتابة المسمارية. وحتى في الحلقات التي كان يطغى عليها استعمال الكتابة المسمارية دائماً، كانت الكتابة الآرامية تستعمل كنظام اضافي بعد منتصف القرن الثامن بفترة وجيزة. وفي القرن السابع انتشرت الآرامية المتأخرة كلغة منطوقة، في حين بقيت الأكديّة تتأرجح رسمياً، ومنذ ذلك الحين صارت تحضر الكلمات والصيغ النحوية الآرامية بأعداد متزايدة في الوثائق المسمارية من إقليم بابل. لكن مرت قرون قبل أن تحل الآرامية محل الأكديّة كلغة منطوقة رئيسية، في كل من آشور وبابل، وظلت المسمارية لدى الدوائر الدراسية ضمن استعمال محدود لبعض الأغراض التخصصية، ولاسيما النصوص الدينية والفلكية، وصولاً حتى القرن الأول من الحقبة المسيحية.

ويمثل الكتاب المقدس شاهداً آخر على انتشار اللغة الآرامية حين. حاصر الآشوريون القدس عام ٧١٠ ق.م. فقد قبل بها كلغة للدبلوماسية، مادام رؤساء اليهود قد رغبوا في استعمالها في المفاوضات، برغم انها لم تكن مفهومة عند جماهير اليهود . وفي عام ٥٣٩ ق.م.، حين احتل الاخمينيون بقيادة قورش الفارسي إقليم بابل، كانت الآرامية تنطق وتكتب من حدود إيران حتى مصر، وقد أعطاها داريوس (521-485) زخماً جديداً باستخدام صيغة (الآرامية الإمبراطورية) كواحدة من اللغات الرسمية للإمبراطورية الفارسية. وحين نصب نقشاً مسمارياً بالفارسية القديمة والعليلية والبابلية على وجه صخرة بيستون، فقد أعد ترجمات آرامية للنص أرسلت الى ميادين قصية مثل جنوب مصر .

ويكمن أهم تأثير بقي للآراميين في انتشار لغتهم الآرامية هو الامتداد الواسع لهم، فقد تركت هجرة هؤلاء الناس جماعات منهم على طول الخطوط الرئيسية في كل مكان من ماوراء نهر الأردن في الغرب إلى المناطق القريبة من الخليج العربي في الشرق، وهذا ما أضفى على لغتهم مكانة عالمية وجعلها أداة مفيدة للإتصال عند التجار والإداريين.

وكان عامل آخر يرتبط بأنظمة الكتابة التي كانت مستخدمة حينئذ، ذلك انه حتى النصف الثاني من الألفية الثانية، كانت ممارسة الكتابة القياسية في كل مكان في الشرق الأوسط باستثناء مصر والكويت، تعتمد كتابة الخط المسماري على ألواح الطين، وتتم في الجزء الأكبر

منها باللغة الأكديّة (البابلية)، لتستعمل في الاتصالات والوثائق الاقتصادية في الغالب، وقد استعملت في بعض الحالات في مصر نفسها . غير ان نظام الكتابة المسمارية البابلي كان نظاماً مرهقاً إذ يتطلب تعلم عدد كبير من العلامات الصورية والعلامات المقطعية، وهذا ماتستغرق السيطرة عليه عدة سنوات . وقبل ان تنتشر الكتابة خارج نخبة الخبراء المحترفين ، كانت هناك حاجة لشيء ما أبسط.

منذ اواسط الألفية الثانية كانت هناك محاولات متعددة لابتكار صيغة كتابية أبسط، وكان مبدأ هذه الأنظمة الكتابية الجديدة يتمثل في إهمال العلامات الصورية واختزال مئات العلامات المقطعية إلى عدد قابل للسيطرة ، وفي اكثر الحالات بثلاثين علامة أو أقل. وهذا يعني بدلاً من امتلاك علامات مقطعية منفصلة، كما هو الحال في الكتابة المسمارية البابلية، لمقاطع صوتية مثل : مي ، مَي ، مو ، ام ، يم ، وم ، ابتكر الإراميون علامة مفردة يمكنها تأدية جميع هذه المقاطع . ونحن نؤول العلامة المبسطة الناتجة بوصفها حرف (م)، برغم ان مبتكري هذا النظام ربما كانوا يفكرون في ان حرف الميم زائداً حركة أو علة غير محددة (هاري ساكو، اللغة الارامية والمكتبات القديمة، ترجمة سعيد الغانمي، <https://annabaa.org/arabic/arts/5876>)

كذلك أغار الآراميون على الشام وتوغلوا فيها في الوقت الذي كان الصراع فيه قائماً بين الدويلات الكنعانية ، وتمكنوا من الوصول إلى شمال الشام وكونوا دويلات عدة آرامية صغيرة بين حلب وجبال طوروس ، ومنها إمارة شمال بين أنطاكية ومرعش ، ومكانها الآن بلدة زنجري وفي أواخر القرن العاشر قبل الميلاد استولى الآراميون على دمشق وأسسوا فيها مملكة كان لها دور مهم في تاريخ ذلك الحين وبخاصة في محاربة الفينيقيين واليهود والتغلب عليهم ، وكذلك لعبت دوراً مهماً في شئون التجارة . فقد كان البدو من أهلها ينقلون تجاره بين المراكز المختلفة مثل دمشق وحماة وحلب إلى بلاد النهرين ، وكانت تدمر مركزاً من هذه المراكز . وقد وصل هؤلاء البدو إلى واحات بلاد العرب الشمالية وتركوا بغض النقوش في تيماء .

ولما استولى البابليون على مملكة دمشق في القرن الثامن قبل الميلاد نقلوا إلى بلادهم عدداً كبيراً من مهرة الآراميين للاستعانة بهم اثناء السبي البابلي. وقد استقر الآراميون في مملكة بابل ونشروا لغتهم حتى غلبت على اللغة البابلية والأشورية ، وتخلد النقوش الأسفينية من عهد سرجون (فيما بين سنتي ٧٢٢ ، ٧٠٥ ق.م) عدداً من الأسماء الآرامية كان أصحابها يحترفون التجارة في مملكة آشور . وبعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م. أصبحت بلاد آشور آرامية . وكان من الشائع في بابل أن تكتب العقود باللغتين البابلية والآرامية .